السيف الحاد

على الإلحاد

نظمه وعلق عليه:

د. سفيان بن فؤاد باسويدان

غفر الله له ولوالديه ومشايخه وطلابه

تمهيد

الحمد لله الذي أمر عبادَه بِترْك المُلْحِدين، وأَوْعَدَهم بِالمُجَازَات يوْمَ الدِّين، وأشهدُ أنْ لَا إله إلا الله وحدَهُ لَا شَرِيكَ لَه ذُو القُوَّة المَتين، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُه ورسولُه المبْعوثُ رَحمةً للْعالمين، الذِي جَاء بِالكِتابِ المُبِين، صلى الله عليه وعلى آله الطَّيِّبِين الطَّاهِرين، وصَحابتِه الغُرِّ المَيامِين، الذينَ يَنفُون عَن دينِه تَحْرِيفَ الغَالِين وانْتِحَالَ المُبْطِلين وتأويلَ الجاهِلين، وَعلى مَن لَهُم بإحسانٍ مِن التَّابِعين، وعَن شُبَهِ أعْداءِ الدِّين مِنَ الذَّابِّين، أمَّا بعدُ...

فقدْ كان مِنَ المُؤْسِف جِدًّا أنْ ينتشِرَ الْإِلْحادُ بَيْن الأُمَّة الإسلاميةِ عَرَبِهِمْ وعَجَمِهِم مِنْ حيْثُ لَا يَشعُرُون، فكان ذلِك تارةً بِلِباسِ النَّظَرِيَّات العِلْمِيّةِ أو مُقدِّمَاتٍ عَقلِيّةٍ الَّتِي تَنْطَوِي على مُغَالَطاتٍ مَنْطِقِيَّةٍ، غَيْرَ أنَّ كَثيرًا مِنْ أمَّتِنا كَانوا فِي غَفْلةٍ مِنْ هذا، ولعلَّ ذلك بِسببِ قِلَّةِ مَن تكلَّم فِي إثباتِ رُبُوبيةِ اللهِ بِالأدِلَّة العقْلِيَّة مع كَثْرَة الدِّعَاياتِ إلى الإلْحاد! ولذا، ضعُفَت حُجَّتُهم أمام المَلَاحِدة، وقد كُنتُ سألتُ بعضَ الطُّلابِ هذا السؤالَ -وهُمْ في المرحلة الجامعية-: **هَلْ تستطيعونَ أنْ تُثبِتوا لِغيرِ المُسلِمِين أنَّ إلٰهَنا هُو الحقُّ دُونَ غيرِهِ، وأنَّ الإسلامَ هُو الدِّينُ الصحيحُ وحدَه بالأدلَّةِ العقلِيَّة ؟؟** فسكَتُوا جميعًا ولم يَعرِفُوا جوابَه...

فلذا، رأيتُ من الأَهَمِّيَةِ بمكانٍ أنْ أضع بَينَ أيدِيهِم جُملَةً مِن القواعِدِ الَّتِي يتَّفِق عليها العُقَلاءُ لإثباتِ ربوبيةِ اللهِ وحدَه دُون غيرِه عَلى منهجِ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ فِي مباحثِ الأسماءِ والصفاتِ، مع الردّ على أشهرِ مَقالاتِ المَلَاحِدَة، وَصُغْتُهَا فِي مَنظومَةٍ مُختصرةٍ تسْهِيلًا لِحفظِها وبألفَاظٍ سَهْلَةٍ واضِحَةٍ مع التعليقات عليها تَيْسِيرًا لِفهْمِها، وأَسْمَيْتُها بـ(السَّيْفِ الْحَادِّ عَلَى الْإِلْحَادِ).

واللهَ أسألُ أن يتقبَّلَ منِّي هذا العملَ اليَسيرَ ويجْعَلَه في مِيزانِ حسَناتِي وَوَالِدَيَّ وَمَشايِخي يوْمَ الدِّين، وأنْ يُلهِمَني الرُّشدَ والسَّدادَ في القولِ والعملِ، ويُجنِّبَني فيهما مِن الْخَطَلِ والزَّلَلِ، إنه لِمَا يُريد فَعَّالٌ وهو العزيز المُتَعَال.

والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه أفْقَرُ عبادِ الرحمٰن

أبو محمد سفيان بن فؤاد بن محمد باسويدان

صولو، ٣ جمادى الثانية ١٤٤٣ هـ

مقدمة

حَمْدًا لِلّٰهِ رَبِّيَ الْعَلَّامِ ١ عَلَى الهُدَى لِدِينِهِ الْإِسْلَامِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ مَعْ سَلَامٍ دَائِمِ ٢ عَلَى النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ الْخَاتَمِ
وَبَعْدُ هٰذَا النَّظْمُ لِلْمُرِيدِ ٣ تَحْصِينَ نَفْسِهِ عَنِ الْإِلْحَادِ
أَرْجُو بِهِ أَنْ يَنْفَعَ الْإِخْوَانَا ٤ وَالْأَجْرَ وَالْقَبُولَ وَالرِّضْوَانَا

صحة الدين الإسلامي

وَاعْلَمْ بِأَنَّ دِينَنَا الْإِسْلَامَا ٥ يُوَافِقُ الْعُقُولَ حَقٌّ دَوْمَا
وَمَا عَدَاهُ بَاطِلٌ ضَلَالُ ٦ تَرْفُضُهُ الْفِطْرَاتُ وَالْعُقُولُ
وَخُذْ حِجَاجَهُ بِعَقْلِكْ فَاسْمَعِ ٧ وَلْنَبْتَدِ إِثْبَاتَ رَبٍّ سَامِعِ

مقدمات عقلية لإثبات وجود الله

(١) فُكُلُّ مَا خُلِقْ فَثَمَّ الْخَالِقْ ٨ **(٢) يُنْبِيكَ خَلْقُهُ بِوَصْفٍ لَائِقْ**
فَخَالِقُ السَّمَا **(عَظِيمٌ) (وَاسِعُ)** ٩ وَمُوجِدُ الشَّمْسِ **(قَوِيٌّ)** فَلْتَعُوا
(مُدَبِّرُ الْأَكْوَانِ) (لَا يَنَامُ) ١٠ وَرَازِقُ الْخَلَائِقِ **(الْقَيُّومُ)**
وَكَانَ **(الْأَوَّلَ)** لَا شَيْءَ قَبْلَهُ ١١ وَكَانَ **(الآخِرَ)** لَا شَيْءَ بَعْدَهُ
(أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْ)، (فَلَا ١٢ **يَغِيبُ عَنْهُ مَا خَفِي عَنِ الْمَلَا)**
إِنْ كَانَ خَلْقُهُ **(يَرَى) (وَيَسْمَعُ)** ١٣ فَالْخَالِقُ مِنْ بَابِ أَوْلَى فَاسْمَعُوا
كَذَا **(الْحَيَاةُ) (وَالْكَلَامُ) (وَالْغِنَى)** ١٤ **(وَالْقُدْرَةُ)** فَأَثْبِتَنْ لِرَبِّنَا
وَالْخَالِقُ **(غَنِيٌّ عَنْ خَلْقِهِ) (لَا** ١٥ **شَرِيكَ لَهْ فِي مِيزَتِهْ) كُنْ عَاقِلَا**
(لَمْ يَكُ مَوْلُودًا) (وَلَيْسَ وَالِدَا) ١٦ **(لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً) (أَوْ وَلَدَا)**

ثُمَّ مِنَ **الْأَسْمَا لَهُ حُسْنَاهَا** ١٧ **أَمَّا صِفَاتُهُ فَمَا أَعْلَاهَا!**
فَمِثْلُهُ لَا بُدَّ أَنْ يُوَحَّدَا ١٨ فِي ذَاتِهِ وَكُلِّ مَا تَفَرَّدَا
وَكُلُّ مَا تُخُيِّلَ بِبَالِكْ ١٩ فَاعْلَمْ بِأَنَّهُ خِلَافُ ذٰلِكْ
أَيُّ إِلٰهٍ يَا تُرَى قَدِ اتَّصَفْ ٢٠ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ غَيْرُهُ عُرِفْ؟
(٣) وَبِالتَّسَلْسُلْ لَا نِهَايَهْ يَمْتَنِعْ ٢١ **وُجُودُ شَيْءٍ قَطُّ** فَاعْقِلْ وَاقْتَنِعْ
(٤) وَلَا يَجُوزُ نِسْبَةُ الْأَشْيَاءِ ٢٢ **لِفَاقِدِيهَا** فَهْيَ كَالْهُرَاءِ
كَمَنْ يَقُولُ: رَبُّنَا الْأَصْنَامُ! ٢٣ والشَّمْسُ! وَالْكَوْكَبُ! وَالْأَنَامُ!
أَوِ الطَّبِيْعَةُ! كَذَا الْحَيْوَانُ! ٢٤ أَوْ غَيْرُهَا فَكُلُّهَا هَذْيَانُ
فَمَا بَقِي مِنْ آلِهَهْ فِي الْكَوْنِ ٢٥ صَحَّتْ عِبَادَتُهْ سِوَى الرَّحْمٰنِ

مشكلة الشر

فَإِنْ يُقَلْ: وُجُودُ شَرٍّ فِينَا ٢٦ يُبْطِلُ مَا ذَكَرْتَ فِي بَارِينَا
مِنْ وَصْفِهِ بِأَحْسَنِ الصِّفَاتِ ٢٧ كَالْعَدْلِ وَاقْتِدَارِ وَالرَّحْمَاتِ
فَعِنْدَهُمْ: اَللّٰهُ لَيْسَ يُوجَدُ ٢٨ بِذِي الصِّفَاتِ وَالشُّرُورُ تُوجَدُ
فَشَرُّهُ نِسْبِيٌّ وَهْوَ يُحْتَمَلْ ٢٩ وَبِالْقِرَانِ مَعْ خِيَارِهِ اضْمَحَلْ
وَشَرُّهُ مُشْتَمِلٌ لِلْخَيْرِ فِي ٣٠ جَوَانِبٍ كَثِيرَةٍ فَلْتَعْرِفِ
فَإِنْ بِخَلْقِهِ عُيُوبٌ وُجِدَتْ ٣١ فَذَا لِحِكْمَةِ الْحَكِيمِ ثَبَتَتْ
وَلَا دَلِيلَ فِيهِ لِلْإِلْحَادِ ٣٢ فِي نَفْيِهِ وُجُودَ رَبٍّ هَادِ
فَصَانِعُ الْآلَاتِ عَمْدًا مَازَهَا ٣٣ فَفَضَّلَ الْبَعْضَ بِقَصْدٍ، وَبِهَا
تَبَيَّنَتْ مِيْزَاتُ الْغَالِ مِنْهَا ٣٤ وَعَكْسُهُ بِعَكْسِهِ فَعِيهَا
وَإِنْ بِشَرٍّ مُلْحِدٌ قَدِ اسْتَدَلْ ٣٥ فَارْدُدْ بِخَيْرَاتِ الْإِلٰهِ يَنْجَدِلْ
فَهَا هُمَا بِالخُلْقِ يُدْرَكَانِ ٣٦ وَالْخُلْقُ كَانَ شِرْعَةَ الرَّحْمٰنِ
لَوْ كَانَ مَادَةً كَزَعْمِهِمْ فَلَنْ ٣٧ يُمَيِّزَ الضِّدَّيْنِ قَطُّ فَاعْقِلَنْ

لا ظلم في حكم الله وقدره

وَحُكْمُهُ عَدْلٌ كَذَا أَفْعَالُهْ ٣٨ لَا ظُلْمَ حَاصِلْ بَلْ خِيَارٌ كُلُّهْ

مِنْ جَانِبِهْ، فَالْقَدْرُ يَعْنِي: ١- عِلْمَهُ ٣٩ ٢- فَكَتْبَهُ ٣- مَشِيئَتَهْ ٤- فَخَلْقَهُ

وَكُلُّهَا صِفَاتُ رَبِّنَا فَلَا ٤٠ وَجْهَ لِوَصْفِهَا بِظُلْمٍ فَاعْقِلَا

وَالظُّلْمُ:(وَضْعُ الشَّيْءِ غَيْرَ مَوْضِعِهْ) ٤١ **كَذَا: (تَصَرُّفٌ بِلَا إِذْنٍ فَعِهْ)**

لِلّٰهِ مَا فِي الْأَرْضِ كُلِّهْ وَالسَّمَا ٤٢ وَعَمَّ يَفْعَلْ لَا يُسَاءَلْ فَاعْلَمَا

وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الْإِلٰهِ لَنْ ٤٣ تُحْصُوهَا كَثْرَةً فَشُكْرُهَا إِذَنْ

مُمْتَنِعٌ دَوْمًا عَلَى الْعِبَادِ ٤٤ فَهُمْ بِذَا أَحَقُّ بِالْوَعِيدِ

تَعْذِيبُهُ عِبَادَهُ بِعَدْلِهِ ٤٥ إِدْخَالُهُمْ جِنَانَهُ بِفَضْلِهِ

لَمْ يُجْبِرِ الْعَبْدَ عَلَى الْإِجْرَامِ ٤٦ تَخْيِيرُهُ جَارٍ عَلَى الْأَنَامِ

فَإِنْ بِطَاعَةِ الرَّحِيمِ قَامُوا ٤٧ فَهُمْ مُيَسَّرُونَ يَا هُمَامُ

وَإِنْ بِعَكْسِهِ فَهُو كَذٰلِكْ ٤٨ مَا زَاغَ عَنْ هُدَاهُ إِلَّا هَالِكْ

الرد على نظرية التطور

وَمَنْ يَقُلْ بِمَذْهَبِ التَّطَوُّرِ ٤٩ فَكُلُّ شَيْ قَابِلٌ لِلتَّغَيُّرِ

وَالْوَاقِعُ ضِدٌّ وَبِالْوِرَاثَةِ ٥٠ نُبْطِلُهُ فِي عُنُقِ الزِّرَافَةِ

فَلَنْ يُوَرَّثَنَّ شَيْءٌ يُكْتَسَبْ ٥١ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْمَهَارَهْ وَالْأَدَبْ

أَمَّا تَشَابُهُ الْخَلَائِقِ فَلَا ٥٢ يَدُلْ عَلَى التَّوَالُدِ، خُذْ مَثَلَا:

يَا مُلْحِدُ أَنْتَ شَبِيهُ الْقِرْدِ ٥٣ فَهَلْ تَقُولُ أَنَّكَ ابْنُ الْقِرْدِ؟

فَكَمْ تَرَى الْأَشْبَاهَ فِي الْأَكْوَانِ ٥٤ فِي النَّبْتِ وَالْجَمَادِ وَالْحَيْوَانِ

مَعَ اخْتِلَافٍ بَيِّنٍ فِي كُنْهِهَا ٥٥ فَمَيَّزُوا مِنَ الْأَشْبَاهِ بِاسْمِهَا
وَقُدْرَةُ الْأَحْيَاءِ لِلتَّكَيُّفِ ٥٦ تُثْبِتُ رَحْمَةَ الْإِلٰهِ كَيْ يَفِي
بِوَعْدِهِ لَهَا ضَمَانَ الرِّزْقِ ٥٧ فِي أَرْضِهِ مَعْ كَثْرَةِ الْفُرُوقِ
بَيْنَ الْفُصُولِ وَالْبِقَاعِ الْقَاسِيَهْ ٥٨ وَعَكْسِهَا لِكَيْ تَكُونَ نَاجِيَهْ

الرد على نظرية الانفجار العظيم

فَإِنْ بِصُدْفَةٍ وَبِانْفِجَارِ ٥٩ تَكَوَّنَ الْأَكْوَانُ دُونَ بَارِي
أَجِبْ بِأَنَّ الْكَوْنَ بِالتَّدْبِيرِ ٦٠ وَالْإِنْفِجَارُ جَاءَ بِالتَّدْمِيرِ
وَالصُّدْفَةُ فَكَيْفَ يُمْكِنْ تَسْتَمِرْ ٦١ مَعَ انْتِظَامٍ؟ ذَا مُحَالٌ فَافْتَكِرْ!
وَاحْذَرْ أَخِي تَغْيِيرَهُمْ سُؤَالَ (مَنْ؟) ٦٢ بِـ(كَيْفَ؟) فِي جَوَابِهِمْ، لَا تُخْدَعَنْ

شبهة عدم انتصار المسلمين

إِنْ كَانَ رَبُّ الْمُسْلِمِينَ يَقْدِرُ ٦٣ فَمَا لَهُمْ عَلَى الْعَدُو لَمْ يُنْصَرُوا؟
أَجِبْ بِأَنَّ النَّصْرَ نَوْعَانِ هُمَا ٦٤ نَصْرٌ لِدُنْيَا أَوْ لِدِينٍ فَافْهَمَا
وَالثَّانِي أَفْضَلُ وَلَيْسَ يَلْزَمُ ٦٥ مِنْ نَصْرِهِ لِدِينِهِمْ أَنْ يُحْرَمُوا
مِنِ ابْتِلَا بِقَتْلٍ ٱوْ تَشْرِيدِ ٦٦ فَذَا قَضَاءُ اللهِ فِي الْعَبِيدِ
وَضَعْفُهُمْ دُنْيًا فَلَيْسَ دَائِمَا ٦٧ وَقُوَّةُ الْعَدُوِّ مِثْلُهُ فَاعْلَمَا
قَدِ اشْتَهَرْ مِنَ الْأَبْطَالِ أَنَّهُمْ ٦٨ تَلَقَّوُا الضَّرْبَاتِ قَبْلَ فَوْزِهِمْ
لَا يُعْلَمُ الْغَلَّابُ فِي السِّبَاقِ مَا ٦٩ لَمْ يَنْتَهِ السِّبَاقُ عِلْمًا جَازِمَا
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَدْ دَعَوْنَا ٧٠ عَلَى الْعَدُوِّ دَهْرًا مَا نُصِرْنَا!
فَالنَّصْرُ لَيْسَ بِالدُّعَاءِ وَحْدَهُ ٧١ فَانْتَفِ مَانِعَهْ وَوَفِّ شَرْطَهُ
وَقُلْ لَهُ: سِوَاكَ قَدْ أُجِيبَ لَهْ ٧٢ فِي أَغْلَبِ الْمَوَاقِفِ فَالْحُكْمُ لَهْ

إِنَّ اسْتِجَابَهْ بِالْمَشِيئَهْ تُشْتَرَطْ ٧٣ مَعْ حِكْمَتِهْ لِلْمُتَضَرِّعِ فَقَطْ
فَأَنْتَ عَبْدُهْ وَهْوَ رَبُّكْ فَانْتَبِهْ! ٧٤ وَلَيْسَ خَادِمَكْ لِمَا أَمَرْتَ بِهْ
إِنِ امْتَنَعْ أَوْ أَخَّرَ الْإِجَابَهْ ٧٥ بِرَحْمَتِهْ وَحِكْمَةٍ عَجِيبَهْ!

لماذا خلق الله الكافر؟

فَإِنْ يُقَلْ: أَلَيْسَ رَبُّكْ يَعْلَمْ ٧٦ بِكُفْرِ كَافِرٍ وَظُلْمِ ظَالِمْ؟
أَلَيْسَ قَادِرًا بِأَنْ لَا يَخْلُقَا ٧٧ مِنْ هٰؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ مُطْلَقَا؟
أَجِبْ: بِأَنَّ سُؤْلَكَ غَرِيبُ ٧٨ إِذْ لَا تَلَازُمْ فِيهِ يَا مُعِيبُ
فَخَلْقُهُ لَهُ بُرْهَانُ عَدْلِهِ ٧٩ حَيْثُ اسْتَحَقَّ مَا خُلِقْ لِأَجْلِهِ
بِالْكُتْبِ وَالْآيَاتِ وَالْعُقُولِ ٨٠ أَقَامَ حُجَّتَهْ مَعَ الرَّسُولِ
وَقَدْ أَبَانَ كُفْرَهُ مُخْتَارَا ٨١ فَالنَّارُ حَظُّهُ فَكُنْ بَصِيرَا

الخاتمة

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى إِتْمَامِي ٨٢ لِنَظْمِيَ الصَّغِيرِ بِانْسِجَامِ
أَبْيَاتُهُ (فَجَا) وَكُنْ مُصَلِّيَا ٨٣ عَلَى النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ وَالْأَوْلِيَا
مِنْ صَحْبِهِ الْكِرَامِ مَعْ مَنْ كَانَا ٨٤ لِنَظْمِنَا مُسْتَوْعِبًا مُبِينَا

فتح رب العباد

في التعليق على السيف الحاد

مقدمة

١ حَمْدًا لِلّٰهِ رَبِّيَ الْعَلَّامِ عَلَى الهُدَى لِدِينِهِ الْإِسْلَامِ

٢ ثُمَّ الصَّلَاةُ مَعْ سَلَامٍ دَائِمِ عَلَى النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ الْخَاتَمِ

٣ وَبَعْدُ هٰذَا النَّظْمُ لِلْمُرِيدِ تَحْصِينَ نَفْسِهِ عَنِ الْإِلْحَادِ [١]

٤ أَرْجُو بِهِ أَنْ يَنْفَعَ الْإِخْوَانَا وَالْأَجْرَ وَالْقَبُولَ وَالرِّضْوَانَا

صحة الدين الإسلامي

٥ وَاعْلَمْ بِأَنَّ دِينَنَا الْإِسْلَامَا يُوَافِقُ الْعُقُولَ حَقٌّ دَوْمَا [٢]

٦ وَمَا عَدَاهُ بَاطِلٌ ضَلَالُ تَرْفُضُهُ الْفِطْرَاتُ وَالْعُقُولُ [٣]

٧ وَخُذْ حِجَاجَهُ بِعَقْلِكْ فَاسْمَعِ وَلْنَبْتَدِ إِثْبَاتَ رَبٍّ سَامِعِ [٤]

---

(١) (الإِلْحَادُ) هو المَيْلُ عَنِ القَصْدِ، وَالعُدولُ عَنِ الشَّيْءِ، ومَصدَرُه "لَحْدٌ"، وَاللَّحْدُ هُو الشَّقُّ فِي جانِبِ القَبْر. فَالإِلْحَادُ لُغَةً يُرادُ بِهِ كُلُّ مَن مَالَ عَنِ الْقَصْدِ وَالحَقِّ. وَأَطلَقَتِ العَرَبُ صِفةَ الْإِلْحَادِ عَلى أَيِّ أَحَدٍ أَظْهَر بِدْعةً وَإِن كَانَ مُؤْمنًا بِاللهِ وَبِنَبِيِّه. وَإِطلاقُهَا عَلى الكُفَّار وَالزَّنادِقةِ أَشْهَر وَإِن كانُوا عَلى أَدْيَانٍ أَوْ مَذاهِبَ أُخْرَى. وَالإِلْحادُ اصْطِلاَحًا: هُو مَذهبٌ فِكْريٌّ يَنْفِي وُجودَ خَالِق الكَوْنِ.

(٢) أي لَا تَعَارُضَ بَيْنَ مَا يَجبُ إِيمَانُه وَامْتِثالُه مِن الدِّينِ وَبَيْن مَا يَقْتَضيه العقلُ السَّلِيم. وَمَنِ ادَّعَى خِلافَ ذلكَ فإنَّه إِمَّا جاهِلٌ بِالدِّين وَمُرادِه وإِمَّا جاهلٌ بِالمَعْقُول ومُقْتضاه.

(٣) فَجَميعُ الأَدْيانِ غيرَ الإسلامِ فِيهِ تَناقُضَاتٌ عَجِيبَةٌ وَاعْتِقَادَاتٌ بَاطِلَةٌ تُنْبِئُ بِضَلَالِهَا. فَإِمَّا أَنَّ تِلْكَ الْأَدْيَانَ وَالْمُعْتَقَدَاتِ تُنَاقِضُ الْعَقْلَ السَّلِيمَ أَوْ تُنَاقِضُ الْفِطْرَةَ السَّلِيمَةَ.

(٤) وبما أن الملاحدة لا يؤمنون إلا بعقولهم، فنحن مستعدون للقضاء على ترهاتهم بالأدلة العقلية، فلنبتدئ نقاشنا معهم بإثبات رب سامع وهو الله سبحانه وتعالى.

فقوله (حِجَاجَه) الحِجاج جمع حُجَّة، والضمير يرجع إلى التقرير السابق من أن ديننا حق ويوافق العقول دائما.

مقدمات عقلية لإثبات وجود الله

٨ (١) فَكُلُّ مَا خُلِقْ فَثَمَّ الْخَالِقْ [١] (٢) يُنْبِيكَ خَلْقُهُ بِوَصْفٍ لَائِقْ [٢]

٩ فَخَالِقُ السَّمَا (عَظِيمٌ) (وَاسِعُ) [٣] وَمُوجِدُ الشَّمْسِ (قَوِيٌّ) فَلْتَعُوا [٤]

١٠ (مُدَبِّرُ الْأَكْوَانِ) (لَا يَنَامُ) [٥] وَرازِقُ الْخَلَائِقِ (الْقَيُّومُ) [٦]

وقوله (ولنبتد... إلخ) أي ولنبدأ كلامنا بإثبات وجود الرب المتصف بصفة السماع. والتنكير في لفظ (رَبٍّ) للتعظيم. كما في الحديث القدسي المتفق عليه: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ... الحديث.

(١) فالقاعدة الأولى: كل مخلوق لا بد له من خالق. ومن علامات المخلوق التي يتفق عليها العقلاء: (١) كونه يبدأ بالعدم (٢) احتياجه إلى غيره (٣) كونه ينتهي بالفناء. ولا يشترط أن تجتمع معرفة هذه العلامات كلها لدى الإنسان، وإنما يكفيه معرفة بعضها.

(٢) والقاعدة الثانية: أن المخلوق يُنْبِئ بوصف لائقٍ لخالقه. وإنما قُيِّد باللياقة لأن مِن شأن المخلوق أن يتصف ببعض السلبيات التي لا تليق نسبتُها إلى الخالق المطلق، كما سيأتي تنبيه بعضها.

(٣) فالسماء متصفة بالعَظَمةِ والسَّعَة، فخالقها كان في منتهى العظمة والسعة. وكلتاهما صفتان لائقتان بالخالق، ويمكن إضافة غيرهما من الصفات كالإحكام والإتقان والقوة والجمال... إلخ.

(٤) وهو الذي أوجد الشمس مصدرًا للقوة العظيمة والطاقة الهائلة، فلا بد لخالقها أن يكون في منتهى القوة. ثم إن الشمس من شأنها أن تُنوِّر، فخالقها مُنوِّر أيضا. قال تعالى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ﴾

(٥) وبما أن الأكوان المختلفة من إنسٍ وجنٍّ وحيوانٍ ونباتٍ وجمادٍ كلها مُدبَّرةٌ كمال التدبير، فلا بد أن يتصف خالقها بالتدبير، ومن لازمه ألا ينام إطلاقًا. فصفة النوم تكون صفةَ كمالٍ للإنسان السليم، ولكنها من حيث هي: نقصٌ، لأن من لا يحتاج إلى نوم مع بقاء قوته كان أفضل مطلقًا.

(٦) فالله الذي يرزق المخلوقات كلها، فاقتضى ذلك أن يكون قَيُّومًا يعني قائما على كلّ شيءٍ بما يجب له، ولا قِوامَ بغيره.

١١ وَكَانَ **(الْأَوَّلَ)** لَا شَيْءَ قَبْلَهُ [١] وَكَانَ **(الآخِرَ)** لَا شَيْءَ بَعْدَهُ [٢]

١٢ **(أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْ)، (فَلَا يَغِيبُ عَنْهُ مَا خَفِي عَنِ الْمَلَا)** [٣]

١٣ إِنْ كَانَ خَلْقُهُ **(يَرَى) (وَيَسْمَعُ)** فَالْخَالِقُ مِنْ بَابِ أَوْلَى فَاسْمَعُوا [٤]

١٤ كَذَا **(الْحَيَاةُ) (وَالْكَلَامُ) (وَالْغِنَى) (وَالْقُدْرَةُ)** فَأَثْبِتَنْ لِرَبِّنَا [٥]

١٥ وَالْخَالِقُ **(غَنِيٌّ عَنْ خَلْقِهِ) (لَا شَرِيكَ لَهْ فِي مِيزَتِهْ)** كُنْ عَاقِلَا [٧] [٦]

---

(١) فالخالق لكل شيء لا بد أن يكون أولًا قبل كل شيءٍ بلا حدٍّ. وذلك لأنه كان ولا شيءَ موجودٌ قبله ولا معه.

(٢) وهو الآخِرُ بعد كل شيء بلا نهاية. وذلك لأنه الكائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.

(٣) فالخالق المدبر لكل شيء، لا بد أن يحيط علمه بكل شيء، ولا يغيب عنه شيء.

(٤) وإذا كان خلقه متصفًا بالرؤية والسمع، فخالقه أولى بهما، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

(٥) وكذا مما اتَّصف به مخلوقُه: (١) **الحياةُ**، وهي لجميع الكائنات الحيَّة. و(٢) **الكلامُ**، وهو لبعض الحيوانات والجنّ والإنس والملائكة. و(٣) **الغِنَى**، وهو للبشر حيث يوجد فيهم الملوكُ الأثرياء والتجارُ الأغنياء. و(٤) **القدرةُ** على فعل الأشياء، سواء كان المخلوق حيًّا -وهذا واضح-، أم جمادًا؛ كقدرة البراكين على الانفجار، وقدرة الأرض على الزلزال، والرياح العاتية، والسيول المُغْرِقة، والنار المُحرِقة، وغيرها. فثبوت هذه الأشياء في مخلوقات الله يستلزم إثباتُها على وجه الكمال في خالقها. وقوله (فَأَثْبِتَنْ) بنون التوكيد المخففة التي تلحق الأمر.

(٦) ومن الصفات اللازمة للخالق: أن يكون غَنِيًّا عن خَلْقِه غيرَ محتاجٍ إليه مطلقًا. لأنه وُجد قبل كل شيء بلا حدٍّ، وباق بعد كل شيء بلا نهاية. ولأنه إذا احتاج إلى شيء فلا بد أن يكون هذا الشيء وُجِد قبله، وهذا تناقض.

(٧) لا شريك له في كل شيء امتاز به عن مخلوقاته، وأما القدر المشترك من الصفات فإنه ثابت للجميع بحسبه.

١٦ **(لَمْ يَكُ مَوْلُودًا) (وَلَيْسَ وَالِدَا)** [١] **(لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً) (أَوْ وَلَدَا)** [٢]

١٧ **ثُمَّ مِنَ الْأَسْمَا لَهُ حُسْنَاهَا** [٣] **أَمَّا صِفَاتُهُ فَمَا أَعْلَاهَا!** [٤]

١٨ فَمِثْلُهُ لَا بُدَّ أَنْ يُوَحَّدَا فِي ذَاتِهِ وَكُلِّ مَا تَفَرَّدَا [٥]

١٩ وَكُلُّ مَا تُخُيِّلَ بِبَالِكْ فَاعْلَمْ بِأَنَّهُ خِلَافُ ذٰلِكْ [٦]

---

(١) لأنه لو كان مولودا لم يكن الخالقَ الأولَ، وليس شيءٌ يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيُورَث. ولو كان والدًا فإنه سيُورَث ويكْتَسِب ولدُه أوصافَ والدِه فصار شريكًا له، وهذان اللازمانِ باطلانِ.

(٢) لأن اتخاذ الصاحبة -وهي الزوجة- أو الولد يدل على احتياجه إليهما فهو منافٍ لِغِنَاه عن العالمين.

(٣) والأسماء الحسنى هي الأسماء البالغة في الحسن منتهاها، ولا تحتمل معنًى سيئًا إطلاقًا، وهي التي ينادَى اللهُ بها ويصحُّ التعبيد لها كـ(عبدالعزيز) و(عبدالأول)، وكلُّ اسمٍ من أسمائه متضمِّنٌ لصفة ومشتقٌّ منها، فالعزيز متضمن لصفة العزة ومشتق منها، وهكذا. ولكن ليس كلُّ صفةٍ لله يصحُّ أن يُشتقَّ منها اسمٌ له. فَلِلّه صفاتٌ كثيرةٌ كالمكر والخِداع والغضب والضحِك والنزول وغيرها، ولم يُشتقَّ منها أسماء، فباب الأسماء توقيفي لا اجتهاد فيه.

(٤) وأما صفاته (فما أعلاها) أي فاعجب لعُلُوِّها، وكلها صفاتٌ عُليا تدل على ما يليق بعظمة الله وجلاله، ويجب إثباتُ كلِّ صفة وصف اللهُ بها نفسَه أو وصفه بها رسولُه ﷺ، بلا تعطيل ولا تأويل ولا تكييف ولا تمثيل.

(٥) فمثل هذا لا بد أن يُعتقدَ وَحدانيَّتُه في ذاتِه وفي كلِّ ما تفرَّد به من الأسماء والصفات.

(٦) وذلك لأن ذاته لا تُشبِه الذوات فصفاته لا تُشبِه الصفات. فأي شيء خطر ببال الإنسان عند سماع صفات الله فاللهُ بخلافه تمامًا. فالإنسان لا يمكنه أن يتخيَّل شيئًا إلا إذا رآه وأدركه واللهُ غيبٌ لا تُدرِكه الأبصارُ؛ أو بقياسه على مثيله واللهُ ليس كمثله شيءٌ؛ أو عَلِمَه عن طريق الخبر الصادق، واللهُ لم يُخبرنا بِكُنْهِ صفاته. فلا مطمع للإنسان العاقل بعد هذا أن يعرف كُنْهَ صفاتِ الله.

٢٠ أَيُّ إِلٰهٍ يَا تُرَى قَدِ اتَّصَفْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ غَيْرُهُ عُرِفْ؟ (١)

٢١ **(٣) وَبِالتَّسَلْسُلْ لَا نِهَايَهْ يَمْتَنِعْ وُجُودُ شَيْءٍ قَطُّ فَاعْقِلْ وَاقْتَنِعْ** (٢)

٢٢ **(٤) وَلَا يَجُوزُ نِسْبَةُ الْأَشْيَاءِ لِفَاقِدِيهَا فَهْيَ كَالْهُرَاءِ** (٣)

٢٣ كَمَنْ يَقُولُ: رَبُّنَا الْأَصْنَامُ! (٤) وَالشَّمْسُ! وَالْكَوْكَبُ! وَالْأَنَامُ! (٥)

٢٤ أَوِ الطَّبِيْعَةُ! كَذَا الْحَيْوَانُ! (٦) أَوْ غَيْرُهَا فَكُلُّهَا هَذْيَانُ (٧)

---

(١) فأيُّ إلٰهٍ عُرِف باتِّصافِه بهذه الصفات التي تُثبِت وجودَه وفقًا لتنوُّعِ صفاتِ مخلوقاتِه؟ لو كُنت منصِفًا، فلن تجد غير الله، ولن تجدَ دينًا آخر يتكلَّم عن صفات ربِّ العالمين بهذه الدقة والإحكام والعِلميّة سوى الإسلام!!

(٢) القاعدة الثالثة: لا يجوز عقلا القولُ بالتسلسل بلا نهاية، كمن قال: إذا كان كل مخلوق لا بد له من خالقٍ، فالرب كذلك، لا بد له من خالقٍ، وهكذا خالق الرب...!! فهذا يستلزم عدم خَلْقِ أي شيء، إذْ كل مخلوق لا بد له من خالقٍ سابقٍ، وقد سبَقه خالِقُه الأسبقُ منه، والأسبقُ كذلك بلا نهاية... فلما خُلِقت هذه المخلوقات، علمنا بأن هناك الخالقَ الأولَ الذي لا يتأثَّر بشيءٍ ووُجِد قبل كلِّ شيءٍ، وهو ما تضمَّنه اسمُ (الأول) لصفة الأوَّليَّة المطلقة.

(٣) القاعدة الرابعة: لا يجوز عقلًا نسبةُ الأشياء لمن لا يملكها ولا يتَّصف بها حقيقةً.

(٤) فنسبة الربوبية المشتملة للخلق والملك والتدبير للأصنام باطلة، كعقيدة المشركين والوثنيّين عامَّةً قديمًا وحديثًا.

(٥) ومن الباطل عقلا: اعتقاد الربوبية في الشمس والكوكب، كعقيدة قوم إبراهيم، لأن هذه الأجرام السماوية لا علم لها بالبشر ولا تدبير لشؤوننا فكيف يعتقد فيها هذه الصفات؟! وكذلك الأنام وهو الإنس والجن، لا يستحقان شيئا من الربوبية فضلا عن الألوهية، لأنهما محتاجان إلى غيرهما دائمًا وكان ابتداء أمرهما العدم ويصيران إلى الموت والفناء.

(٦) وكذلك من الباطل عقلا: اعتقاد الربوبية في الطبيعة كعقيدة الملاحدة الماديين، أو في الحيوان كعقيدة الهنود وغيرهم. فالطبيعة لا عقل لها ولا تدبير، والحيوان كذلك.

(٧) أو غيرها من الأرباب والآلهة الباطلة... كلها (هذيان)، أي كلامُ مَن فسُد عقلُه واضطرَب، فيتكلم بكلام غير معقول كالسكران.

٢٥ فَمَا بَقِي مِنْ آلِهَهْ فِي الْكَوْنِ صَحَّتْ عِبَادَتُهْ سِوَى الرَّحْمٰنِ [١]

مشكلة الشر[٢]

٢٦ فَإِنْ يُقَلْ: وُجُودُ شَرٍّ فِينَا يُبْطِلُ مَا ذَكَرْتَ فِي بَارِينَا [٣]

٢٧ مِنْ وَصْفِهِ بِأَحْسَنِ الصِّفَاتِ كَالْعَدْلِ وَاقْتِدَارِ وَالرَّحْمَاتِ [٤]

٢٨ فَعِنْدَهُمْ: اَللّٰهُ لَيْسَ يُوجَدُ بِذِي الصِّفَاتِ وَالشُّرُورُ تُوجَدُ [٥]

---

(١) فلا يبقى بعد هذه المقدمات العقلية الأربع ما يستحق أن يوصف بالربوبية والألوهية سوى الرحمٰن، فتبين بذلك صحة عقيدة المسلمين الموحدين دون غيرهم.

(٢) وتسمى "معضلة أبيقور" (Dilema Epicurus)، نسبةً إلى أول من قال بها، وهو الفيلسوف الإغريقي أبيقور. وتتلخص هذه "المعضلة" في أن الإله لا يمكن أن يتصف بصفتَي الرحمة والقدرة معًا، فهو إما أنه قدير ويرضى بوقوع الشر فتنتفي عنه صفة الرحمة، وإما أنه رحيم لا يرضى بوقوع الشر فتنتفي عنه صفة القدرة على منع وقوع ذلك الشر.

(٣) أي فإن قيل لك أيها المؤمن الموحد: إن وجود الشر فينا كالمصائب والحوادث والجرائم والأوبئة ونحوها لا يستقيم مع ذكرتَ لربك من الصفات الكمالية.

(٤) أي إذا كان ربكم متصفا بالعدل والقدرة والرحمة، فكيف جاز له أن يخلق هذه الشرور ولا يُزيلُها؟ أين عدلُه؟ أين قدرتُه؟ وأين رحمتُه؟

(٥) فما دامت الشرورُ موجودة، فهذا -بزعمهم- دليلٌ على عدم وجود الرب المتصف بهذه الأوصاف المذكورة.

٢٩ فَشَرُّهُ نِسْبِيٌّ وَهْوَ يُحْتَمَلْ [١] وَبِالْقِرَانِ مَعْ خِيَارِهِ اضْمَحَلْ [٢]
٣٠ وَشَرُّهُ مُشْتَمِلٌ لِلْخَيْرِ فِي جَوَانِبٍ كَثِيرَةٍ فَلْتَعْرِفِ [٣]
٣١ فَإِنْ بِخَلْقِهِ عُيُوبٌ وُجِدَتْ فَذَا لِحِكْمَةِ الْحَكِيمِ ثَبَتَتْ
٣٢ وَلَا دَلِيلَ فِيهِ لِلْإِلْحَادِ فِي نَفْيِهِ وُجُودَ رَبٍّ هَادِ [٤]
٣٣ فَصَانِعُ الْآلَاتِ عَمْدًا مَازَهَا فَفَضَّلَ الْبَعْضَ بِقَصْدٍ، وَبِهَا

---

(١) **أولًا:** إن الشرَّ الذي وُجد في مفعولات الله، هو شرٌّ نسبيٌّ وليس شرًّا محضًا. فهو شرٌّ من جهةٍ وخيرٌ من جهاتٍ.

ثانيًا: هذا الشر النسبي مما يحتمله المخلوق، إما لنُدرته أو قِلَّته أو لكونه سرعانَ ما يذهب ويرجع الخيرُ مكانَه. ولولاه لما عرف المخلوقُ الخيرَ أبدًا، قال أبو الطيّب المتنبي: وبضدِّها تتبيّن الأشياءُ.

(٢) فينبغي أن يُبنى الحكمُ على الغالب الكثير، لا على النادر القليل. وإذا قارنتَ الشرَّ في مفعولات الله (مَعْ خِياره) -جمع خير- التي جاءت من عنده، فإن هذا الشرَّ (اضمحلّ) أي ذهب وتلاشى لقلَّته.

خذ أمثلةً على ذلك: الأصِحَّاء أكثر بكثيرٍ من المرضى، والعافيةُ أطول وأغلب من المصائب، والسِّلْم أعمُّ وأَدْوم من الحَرْب.

(٣) **ثالثًا:** لو حصل شيء من الشر كالمصائب مثلا، فإنه سيترتب عليها خيرٌ كثيرٌ للمصابين وغيرهم. فالمصاب إذا صبر واحتسب كان خيرًا له، لأن فيه كفارةً لذنوبه ورفعةً لدراجته وزيادةً في حسناته. ثم إن هذه المصيبة تفتح أبوابَ الرزق لآلاف البشر، فلولا وجودُ المرض لما وُجِدت المستشفياتُ والأطباءُ والممرّضون ومصانعُ الأدويةِ والأجهزةِ الطِّبِّيَّةِ والعاملون فيها... فكم من البشر عاش وارتزق بسببه؟؟ كما قال تعالى ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ﴾ [الزخرف: ٣٢].

(٤) **رابعًا:** مَنِ استدل لنفي وجود الله بالعيوب الموجودة في بعض مخلوقاته، وزعموا بأنها منافية لكمال الرحمة والعدل. **فالجواب عنها** أنها وُجِدت لحكمة عظيمة ثابتة، ولا يمكن الاستدلال بهذه المخلوقات المعيبة على نفي وجود الخالق، لأنها ما دامت مخلوقة وموجودة فلا بد لها من خالق وموجد.

٣٤ تَبَيَّنَتْ مِيْزَاتُ الْغَالِ مِنْهَا وَعَكْسُهُ بِعَكْسِهِ فَعِيهَا [١]
٣٥ وَإِنْ بِشَرٍّ مُلْحِدٌ قَدِ اسْتَدَلْ فَارْدُدْ بِخَيْرَاتِ الْإِلٰهِ يَنْجَدِلْ [٢]
٣٦ فَهَا هُمَا بِالخُلْقِ يُدْرَكَانِ وَالْخُلْقُ كَانَ شِرْعَةَ الرَّحْمٰنِ
٣٧ لَوْ كَانَ مَادَةً كَزَعْمِهِمْ فَلَنْ يُمَيِّزَ الضِّدَّيْنِ قَطُّ فَاعْقِلَنْ [٣]

لا ظلم في حكم الله وقدره

٣٨ وَحُكْمُهُ عَدْلٌ كَذَا أَفْعَالُهْ لَا ظُلْمَ حَاصِلْ بَلْ خِيَارٌ كُلُّهْ

---

(١) **ويقال لهم أيضا:** ألم تروا إلى الشركات الصانعة للآلات والأدوات المختلفة، لِمَ تتعمَّد صنع الأدوات من جنس واحد بمواصفات مختلفة بعضها أفضل من بعض؟ فتجد مثلا جوَّالًا بسعر مليون وآخر بعشرة ملايين وهما من شركة واحدة. فتجد الغالي منهما مليء بالخدمات المفيدة ومميزات عديدة، بينما الرخيص فيه عيوب كثيرة. فهل يصحُّ عقلًا أن يقال إن وجود الرخيص المعيب يدل على عدم وجود الشركة الصانعة؟

(٢) **خامسًا:** من استدل بوجود الشرِّ لنفي وجود الخالق الرحيم الحكيم العليم القدير، فأَثبِتْ وجودَه بوجودِ الخيرات الكثيرة الغالبة التي لا يستطيع أحدٌ نُكرانَها... أليس لهذه الخيرات خالقٌ خَيِّرٌ؟؟ قال تعالى ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦] ومعنى (ينجدل): ينصَرِع.

(٣) **سادسًا:** إن وجود الشرِّ دليلٌ على وجود الخير، وإنما يُدرك الخيرُ والشرُّ بالمبادئِ الخُلُقِية، والمبادئ الخُلُقية مصدرُها من الله، سواءٌ كانت عن طريق الفطرةِ السليمةِ لدى كل إنسان أم كانت من بقايا الأديان السماوية عند بعض الأمم، فهي ليست مادةً على كل حال، لأن المادة لا شعورَ فيها ولا تمييز، (فلن يميز الضدين) أي لن يميز الخير من الشر، فتبيَّن بهذا أن معرفة الإنسان بوجود الشرِّ دليلٌ على وجودِ الله لزامًا.

٣٩ مِنْ جَانِبِهْ، فَالْقَدْرُ يَعْنِي: ١- عِلْمَهُ ٢- فَكَتْبَهُ ٣- مَشِيئَتَهْ ٤- فَخَلْقَهُ [١]

٤٠ وَكُلُّهَا صِفَاتُ رَبِّنَا فَلَا وَجْهَ لِوَصْفِهَا بِظُلْمٍ فَاعْقِلَا [٢]

٤١ **وَالظُّلْمُ:(وَضْعُ الشَّيْءِ غَيْرَ مَوْضِعِهْ)** [٣] **كَذَا: (تَصَرُّفٌ بِلَا إِذْنٍ فَعِهْ)** [٤]

٤٢ لِلّٰهِ مَا فِي الْأَرْضِ كُلِّهْ وَالسَّمَا وَعَمَّ يَفْعَلْ لَا يُسَاءَلْ فَاعْلَمَا [٥]

٤٣ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الْإِلٰهِ لَنْ تُحْصُوهَا كَثْرَةً فَشُكْرُهَا إِذَنْ

٤٤ مُمْتَنِعٌ دَوْمًا عَلَى الْعِبَادِ فَهُمْ بِذَا أَحَقُّ بِالْوَعِيدِ [٦]

---

(١) كما أن الشرَّ منفيٌّ من جهة الله، كذلك الظلم منفي عن أحكام الله وأفعاله من جهة أنه حاصل بقضاء الله وقدره، فهو خير كله من هذه الحيثية. وذلك لأن القدر يشمل أربعة أيشاء وكلها متعلق بالله، وهي: (أ) عِلمه، (ب) كتابته، (ج) مشيئته، (د) خَلْقه.

(٢) فهذه الأربعة كلها من نعت الله العلي، أي من صفته الرفيعة، فلا ظُلمَ قطُّ في صفات الله إن كنت عاقلا. وذلك لأن هذه الصفات لا تنفكُّ عن الله، فوصفُها بالظلم وصفُه به لزامًا.

(٣) وعُرِّف الظلمُ بتعريفَيْن شهيرَيْن، كلاهما لا ينطبقانِ على أحكام الله وأفعاله:

أولًا: وضع الشيء في غير موضعه اللائق به.

(٤) **وثانيًا: تصرُّفٌ بلا إذن** في حقّ الغير. وقوله (فَعِهْ) أي فَافْهَمْهُ. مِنْ: وَعَى يَعِي. والهاء ساكنة للوزن، وهي تعود إلى المعهود ذِهْنًا، يعنى تعريف الظلم.

(٥) ومعلوم أن لله ما في السماء والأرض فكان له الحق المطلق في التصرف في جميع خَلقِه، ولا يسأل عما يفعل فيهم. وبهذا لا يوصف بالظلم في كل ما فعل بخلقه.

(٦) وأما على القول بأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، فقد ثبت بسند صحيح عن جماعة من الصحابة موقوفًا وعن زيد بن ثابت مرفوعًا بلفظ: ((لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ... الحديث)) رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد وابن حبان.

٤٥ تَعْذِيبُهُ عِبَادَهُ بِعَدْلِهِ [١] إِدْخَالُهُمْ جِنَانَهُ بِفَضْلِهِ [٢]

٤٦ لَمْ يُجْبِرِ الْعَبْدَ عَلَى الْإِجْرَامِ تَخْيِيرُهُ جَارٍ عَلَى الْأَنَامِ [٣]

٤٧ فَإِنْ بِطَاعَةِ الرَّحِيمِ قَامُوا فَهُمْ مُيَسَّرُونَ يَا هُمَامُ

٤٨ وَإِنْ بِعَكْسِهِ فَهُو كَذٰلِكْ مَا زَاغَ عَنْ هُدَاهُ إِلَّا هَالِكْ [٤]

وبيان ذلك: فإن نعم الله على العباد لا تعدُّ ولا تُحصى كثرةً، وقد عجز العبادُ عن إحصائها فكان عجزهم عن شكرها من باب أولى، فبالتالي كل العباد إنسُهم وجنُّهم وملائكتُهم لم يؤدوا شكر الله، فهم بذلك يستحقون العذاب، فلو أدخلهم اللهُ في النار لكان هذا من وضع الشيء في موضعه.

ثم إن شكرهم لله لا يتمُّ إلا مع إحداثِ نِعَمٍ جديدةٍ، فتوفيقُ الله لعبده، وإبقاؤه على قيد الحياة مع العافية والتمكين للعبادة، كلها من نعم الله التي تحتاج إلى شكرٍ جديدٍ.

(١) فمن عذبه الله في النار فإنه كان بعدله، وما الله بظلام للعبيد.

(٢) وأما من أدخله الله الجنة فإنه كان بفضله ورحمته، وكانت رحمتُه خيرًا له من عمله، **فتبين من هذا** أن أحكامَ الله وأفعالَه دائرةٌ بين العدل والفضل، ولا ظلم فيها ألبتة.

(٣) ثم إن الله (لم يجبر العبد) إنسًا وجنًّا (على الإجرام)، أي ارتكاب الجرائم، بل (تخييره جارٍ) دائما (على الأنام) أي على الجن والإنس. والأنام يشمل كل من على ظهر الأرض.

(٤) فمن قام بطاعة الله فإنه مُيَسَّر لأن يكون من أهل السعادة وهذا يقتضي منه الشكر والاستقامة عليه، ومن قام بمعصية الله فإنه ميسَّرٌ إلى عكسه، وهذا يقتضي منه الحذر والتوبة منه، لا التسليم للوضع، كما ثبت في الصحيحين من حديث علي مرفوعًا: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ».

وفي حديث العرباض بن سارية مرفوعا: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ...» رواه ابن ماجه وأحمد وصححه الألباني. ومعنى البيضاء أي الملة والحجة الواضحة التي لا تقبل الشبه أصلا.

الرد على نظرية التطور

٤٩ وَمَنْ يَقُلْ بِمَذْهَبِ التَّطَوُّرِ [١] فَكُلُّ شَيْ قَابِلٌ لِلتَّغَيُّرِ [٢]

٥٠ وَالْوَاقِعُ ضِدٌّ وَبِالْوِرَاثَةِ نُبْطِلُهُ فِي عُنُقِ الزِّرَافَةِ [٣]

٥١ فَلَنْ يُوَرَّثَنَّ شَيْءٌ يُكْتَسَبْ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْمَهَارَهْ وَالْأَدَبْ [٤]

---

(١) نظرية التطوُّر اشتهر بها رجلان، أولهما: لَمَارْك (Jean-Baptiste Lamarck) وثانيهما: دارْوِن (Charles Darwin) ووجه الشبه بين قوليهما أن الحياة كانت تبتدئ من الكائنات الحية البسيطة القليلة ثم تتطور لتصبح الكائنات الحية المعقدة الكثيرة. **و انفرد لمارك** بالقول بأن الحيوان من الجنس الواحد كان متصفًا بصفات متساوية، فعنق الزرافة وأرجلها مثلا كانت قصيرة كلها مثل الحصان، ولكن بسبب الإرادة الداخلية لدى الزرافة لتناول أوراق الأشجار المرتفعة، تتطوَّر عنقها وأرجلها حتى تصبح طويلةً، ثم تكُون هذه الصفة وراثيةً فيما بعد. **بينما يقول دارون** بأن سبب التطور ليست الإرادة الداخلية، وإنما هو انتقاء الطبيعة، فالزرافة عند دارون بعضها طويلُ العنق وأخرى قصيرُه. فقصير العنق منها يتعرض لصعوبة الحصول على الطعام والشراب فيموت، وبقي طويل العنق منها على قيد الحياة ويتناسل حتى تصبح الزرافات كلها طويلة الأعناق.

(٢) ومفاد هذا المذهب التطوُّري أن الكائنات الحية أصلها واحد وتتغيّر عبر مليارات السنين لتصبح أنواعًا كثيرة مختلفة تمامَ الاختلاف، فأصل الإنسان والحيوان والنباتات واحدٌ.

(٣) والردُّ عليها أيضا أنّ الواقع ضدُّها، وعلمُ الوراثةِ تُبطِل قول *لَمَارك* في عنق الزرافة، وأما قول *دارون* فإنها أصلا مجرَّد دعوى بلا بينة، إذ لا بينة لوجود زرافة قصيرة العنق والأرجل في الزمن الأول.

(٤) فالصفات والمهارات والأدب المكتسبة لن تُورَّث، وبرهان ذلك أشهر وأكثر من أن يُذكر. فعِلمُ العلماء مكتسبٌ بالتعلُّم، ولم يكن أولادُهم علماءَ من غير تعلُّم. وكذلك قوَّةُ الأقوياء وخِبرةُ الخبراء وأدبُ الأُدباء، بخلاف ألوانِ البَشَرةِ والشعَرِ والعَيْن وطُولِ القامة عند الغربيين وقِصَرِها عند الإندونيسيين، وصِغَرِ العين عند الصينيين ونحو ذلك من الصفات الوراثية غير المكتسبة.

٥٢ أَمَّا تَشَابُهُ الْخَلَائِقِ فَلَا يَدُلْ عَلَى التَّوَالُدِ، خُذْ مَثَلَا: [١]

٥٣ يَا مُلْحِدُ أَنْتَ شَبِيهُ الْقِرْدِ فَهَلْ تَقُولُ أَنَّكَ ابْنُ الْقِرْدِ؟ [٢]

٥٤ فَكَمْ تَرَى الْأَشْبَاهَ فِي الْأَكْوَانِ فِي النَّبْتِ وَالْجَمَادِ وَالْحَيْوَانِ

٥٥ مَعَ اخْتِلَافٍ بَيِّنٍ فِي كُنْهِهَا فَمَيَّزُوا مِنَ الْأَشْبَاهِ بِاسْمِهَا [٣]

٥٦ وَقُدْرَةُ الْأَحْيَاءِ لِلتَّكَيُّفِ تُثْبِتُ رَحْمَةَ الْإِلٰهِ كَيْ يَفِي

٥٧ بِوَعْدِهِ لَهَا ضَمَانَ الرِّزْقِ فِي أَرْضِهِ مَعْ كَثْرَةِ الْفُرُوقِ [٤]

٥٨ بَيْنَ الْفُصُولِ وَالْبِقَاعِ الْقَاسِيَهْ وَعَكْسِهَا لِكَيْ تَكُونَ نَاجِيَهْ [٥]

---

(١) فإن تشبَّث أصحاب هذه النظرية بوجود الشَّبَه بين المخلوقات، ثم زعموا بأنه يدلُّ على التوالُد، أي أن بعضَها يُولد من بعضٍ؛ فهذا الزعم على إطلاقه باطلٌ، فهناك من الأشباه ما سببه التوالد وهناك ما لم يكن كذلك.

(٢) ومثال ذلك أن نقول للملحد: أنت شبيه بالقرد من حيث الهيئة، فهل تقول بأنك ابن القرد؟؟ إن قال: لا، فقد تناقض، وإن قال: نعم، فقد كذب وكابر.

(٣) فكم رأينا الأشباه في هذا الكون بين الحيوانات والجمادات والنباتات، وليس بعضها مولودًا من بعضٍ مع اختلاف كنهها وخصائصها، وبناء على هذه الخصائص اختلفت أسماءها، وإلا لجاز لنا أن نسمي الإنسانَ قردًا والقردَ إنسانًا، أو أن نسمي البقرةَ شاةً والشاةَ بقرةً، وهَلُمَّ جرًّا.

(٤) وأما قدرة الأحياء على التكيف، فلا يدل على التطور المزعوم، فضلا عن أن يدل على عدم وجود الله. بل هو من أوضح الأدلة على رحمة الله الذي وعد الأحياء كلها بأن رزقها عليه هو. فلا بد أن يفي بوعده على كل حال مع تغيُّر الأزمنةِ والأمكنةِ وما يتعلَّق بهما من توفُّر أسبابِ الحياةِ قِلَّةً وكثرةً.

(٥) ففي فصل الشتاء كان الجوُّ باردًا بخلاف الصيف، وفي القحط قلّ الماءُ بخلاف الأمطار، وكذلك في البقاع القاسية المختلفة برًّا وبحرًا، فالأحياء تتكيف دائما لتنجو من شدة الفصول والبقاع فتبقى أحياءً، فهو دليل وجود الخالق الرحيم المدبر الحكيم.

الرد على نظرية الانفجار العظيم

٥٩ فَإِنْ بِصُدْفَةٍ وَبِانْفِجَارِ تَكَوَّنَ الْأَكْوَانُ دُونَ بَارِي [١]

٦٠ أَجِبْ بِأَنَّ الْكَوْنَ بِالتَّدْبِيرِ وَالْاِنْفِجَارُ جَاءَ بِالتَّدْمِيرِ [٢]

٦١ وَالصُّدْفَةُ فَكَيْفَ يُمْكِنْ تَسْتَمِرْ مَعَ انْتِظَامٍ؟ ذَا مُحَالٌ فَافْتَكِرْ! [٣]

٦٢ وَاحْذَرْ أَخِي تَغْيِيرَهُمْ سُؤَالَ (مَنْ)؟ بِـ(كَيْفَ؟) فِي جَوَابِهِمْ، لَا تُخْدَعَنْ [٤]

---

(١) ومن مقالات الملاحدة: أن الكون تكوَّن بالصدفة (Casualism) أو بالانفجار العظيم (The Big Bang)، ولم يخلقه خالقٌ. وهذا أيضا مناقض للواقع والمعقول معًا.

(٢) لأنه لو كان الكونُ بالانفجار العظيم، فإننا وجدنا الكون دائمًا مدبَّرًا أحسن تدبيرٍ، والانفجارُ إنما يأتي بالتدمير. ولا يوجد انفجارٌ يعقُبُه هذا الجمالُ الباهرُ في الأرض من أشجارٍ وأنهارٍ وبشرٍ وحيوانٍ... فهذا ضرب من الخيال.

(٣) وأما الصدفة فلا يمكن أن تستمرَّ وتتكرَّرَ، لأن الاستمرار ينافيها. فانتظام حركة الشمس والقمر طلوعًا وغروبًا، وتعاقُب الليل والنهار، والفصولُ الثُّنائية أو الرُّباعية، وغيرُها على وجه الاستمرار، يدل على وجود التدبير، والتدبير يدل على وجود المدبِّر حتمًا. وقوله: (فافْتكِرْ!) أي راجعْ أفكارَك وتأمَّلْ مرة أخرى!

(٤) واحذر أن يلبِّس عليك الملاحدةُ، فسؤالُنا لهم عن (مَنْ) صنع الكون؟ لكن جوابهم دائما عن (كَيْف) صَنعُ الكون... فالصدفةُ والانفجارُ العظيم والتطوُّر وانتقاءُ الطبيعة وغيرُها من المقالات الإلحادية؛ كلُّها بيانٌ لكيفية الخلْق -على فرض صحتها تنازلًا- بينما سؤالنا لهم: مَنِ الخالق؟ أو على حد تعبيرهم: مَن خلَق الصدفة؟ ومَن خلَق الانفجارَ العظيم؟ ومَن خلَق التطوُّرَ؟ ومن خلق الطبيعةَ؟

شبهة عدم انتصار المسلمين

٦٣ إِنْ كَانَ رَبُّ الْمُسْلِمِينَ يَقْدِرُ فَمَا لَهُمْ عَلَى الْعَدُو لَمْ يُنْصَرُوا؟ (١)

٦٤ أَجِبْ بِأَنَّ النَّصْرَ نَوْعَانِ هُمَا نَصْرٌ لِدُنْيَا أَوْ لِدِينٍ فَافْهَمَا (٢)

٦٥ وَالثَّانِي أَفْضَلُ وَلَيْسَ يَلْزَمُ (٣) مِنْ نَصْرِهِ لِدِينِهِمْ أَنْ يُحْرَمُوا

٦٦ مِنِ ابْتِلَا بِقَتْلٍ ٱوْ تَشْرِيدِ فَذَا قَضَاءُ اللهِ فِي الْعَبِيدِ (٤)

---

(١) فإن يعتبرْ برب المسلمين ربًّا حقيقيًّا، فلماذا لم ينصر المسلمين على أعدائهم؟ أين ربُّهم المزعوم؟ أليس ربًّا عزيزًا قويًّا نصيرًا لا غالب لأمره؟

(٢) فالجواب من أوجه:

أولًا: الانتصار نوعان: (أ) انتصار في الأمور الدنيوية (ب) وانتصار في الأمور الدينية، فإذا كان الكلام عن انتصار "**المسلمين**" فالكلام متوجه إلى دينهم لا إلى دنياهم، لأن الذي يميّز المسلمين عن غيرهم هو دينهم الإسلامي.

(٣) **ثانيًا:** أفضل الانتصارين هو الانتصار في الدين، وذلك لأمور، منها:

أ- لأنه انتصار الأنبياء على أعدائهم، والأنبياء أفضل البشر.

ب- لأنه انتصار للعقيدة والقِيَم، والعقيدة والقيم هي التي تولّد العدل والإصلاح في الدنيا، فالكفر والإلحاد يولدان الظلم والطغيان والفساد، والعكس بالعكس.

ت- لأن الدين يبقى إلى قيام الساعة والدنيا تذهب بموت الإنسان.

ث- لأن الدين هو الذي يرفع الإنسان من أن يصير إلى أسفل سافلين.

(٤) **ثالثًا:** لا يلزم من انتصار المسلمين في دينهم حرمانهم من الابتلاء في الدنيا، من قتل أو تعذيب أو تشريد... بل الابتلاء سنة الله وقضاءه في العباد، لأنه به يتميز المؤمن من الكافر والمنافق، وبه ترفع الدرجات وتكتب الحسنات وتمحى السيئات، وتظهر الحقائق المخفية، وكما قيل: وبضدها تتبين الأشياء.

٦٧ وَضَعْفُهُمْ دُنْيًا فَلَيْسَ دَائِمَا وَقُوَّةُ الْعَدُوِّ مِثْلُهُ فَاعْلَمَا [١]

٦٨ قَدِ اشْتَهَرْ مِنَ الْأَبْطَالِ أَنَّهُمْ تَلَقَّوُا الضَّرْبَاتِ قَبْلَ فَوْزِهِمْ [٢]

٦٩ لَا يُعْلَمُ الْغَلَّابُ فِي السِّبَاقِ مَا لَمْ يَنْتَهِ السِّبَاقُ عِلْمًا جَازِمَا [٣]

٧٠ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَدْ دَعَوْنَا عَلَى الْعَدُوِّ دَهْرًا مَا نُصِرْنَا! [٤]

---

(١) **رابعًا:** ضعف المسلمين في الدنيا ليس دائمًا وقوة الكفار كذلك، فالأيام دُوَل والحرب سجال، وما دامت الدنيا باقية ولم تنتهي، فلا يمكن الحكم على أحد بالغلبة المطلقة أو الانتصار الحقيقي، وإنما يعرف الغالب المنتصر إذا انتهى كل شيء. فالغلبة الحاصلة للكفار في الدنيا إنما هي في زمنٍ محدَّدٍ أو لطائفةٍ معينةٍ أو في مكان خاص، وليس عامًّا شاملا مستمرًّا.

(٢) **خامسا:** من المعلوم أن الأبطال لم يفوزوا في أول الأمر بل يتعرضون أولا للضربات والمحن والأذى ثم يفوزون في النهاية، وإن ماتوا وهلكوا قبل كسر شوكة عدوهم فإنهم يبقون أبطالًا لتمسكهم بالمبادئ والقيم الصحيحة.

(٣) **سادسا:** لا يمكن أن يعلم الغالبُ في أي سباقٍ -علمًا جازمًا- بمجرد النظر إلى حصيلته الأولية أثناء السباق قبل انتهائه، لأن المسبوق في أثناء السباق قد يكون سابقًا في نهايته. فالحكم على المسلمين اليوم بأنهم مغلوب عليهم، ليس حكمًا صحيحًا حاسمًا، لأن صراعَنا مع الكفار لا ينتهي إلا مع انتهاء الدنيا، والدنيا لم تنته حتى الآن.

وقوله (علمًا) منصوب خبرًا لكان محذوفةٍ مع اسمِها، و(جازمًا) صفته، والتقدير: وكان العلمُ بالغَلَّابِ -بعد انتهاء السباق- علمًا جازمًا.

و(الغلَّاب) يعني كثير الغَلَبة، وهو هنا بمعنى الغالب الفائز.

(٤) **ومن شبه الملاحدة أنهم يقولون:** نحن قد دعونا الله كثيرا على أعدائنا فلم ينصرنا الله حتى الآن. فهؤلاء الفلسطينيون تحت احتلال اليهود منذ أكثر من ثمانين عاما، وأهل الشام تحت سيطرة النصيرية منذ عشرات السنين، والأقلية المسلمة في الصين والبورما والهند وغيرها مطهدون مقهورون حتى الآن... فأين الله إن كان موجودًا؟ ولماذا لم يستجب لدعوات هؤلاء المساكين المظلومين؟؟

٧١ فَالنَّصْرُ لَيْسَ بِالدُّعَاءِ وَحْدَهُ فَانْتَفِ مَانِعَهْ وَوَفِّ شَرْطَهُ [١]

٧٢ وَقُلْ لَهُ: سِوَاكَ قَدْ أُجِيبَ لَهْ فِي أَغْلَبِ الْمَوَاقِفِ فَالْحُكْمُ لَهْ [٢]

٧٣ إِنَّ اسْتِجَابَهْ بِالْمَشِيئَهْ تُشْتَرَطْ مَعْ حِكْمَتِهْ لِلْمُتَضَرِّعِ فَقَطْ [٣]

٧٤ فَأَنْتَ عَبْدُهْ وَهْوَ رَبُّكْ فَانْتَبِهْ! وَلَيْسَ خَادِمَكْ لِمَا أَمَرْتَ بِهْ [٤]

---

(١) فالجواب أن النصر ليس بالدعاء وحده، بل هناك شروط يجب استيفاؤها وموانع يجب انتفاؤها. فمن شروطه:

أ- نصرة المسلمين لدينهم بتحقيق التوحيد أولًا، قال تعالى ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]

ب- إعداد القوة المادية (العسكرية) بحسب الزمان والمكان، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٠]

ت- طاعة الأمير وعدم التنازع، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦]

ث- تقوى الله والصبر والمصابرة، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗاۗ﴾ [آل عمران: ١٢٠] وقال أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

ومن موانع النصر عكس هذه الشروط. فإذا كان جميعُ الشروطِ مستوفاةٍ وجميعُ الموانعِ منتفيةً، فحينئذ يتحقق النصرُ في الدنيا والدين، وإلا فقد يتخلَّف في أحدهما أو في كلاهما.

(٢) أي أن عدم استجابة الله لدعائك ليس دليلا على عدم وجوده عز وجل، لأنه قد استجاب لدعاء غيرك في أغلب المواقف، فكان الحكم للغالب، والنادر لا حكم له.

(٣) فاستجابة الدعاء متعلق بمشيئة الله المقرونة بحكمته، وكانت الإجابة للمؤمن المتضرع في دعائه لا للمجرب الشاك. قال تعالى: ﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ﴾ وقال أيضا: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾.

(٤) فاعلم أنك بمنزلة العبد الذي يسأل سيده شيئًا، فكان للسيد أن يعطي إن شاء تفضلًا وكرمًا، كما أن له أن يمتنع عنه إظهارًا لسلطانه وبحكمةٍ لا تعلمها، لأنه ليس بمنزلة الخادم الذي لا بد أن يطيع سيده لما أمره به، فانتبه!

٧٥ إِنِ امْتَنَعْ أَوْ أَخَّرَ الْإِجَابَهْ بِرَحْمَتِهْ وَحِكْمَةٍ عَجِيبَهْ! (١)

لماذا خلق الله الكافر؟

٧٦ فَإِنْ يُقَلْ: أَلَيْسَ رَبُّكْ يَعْلَمْ بِكُفْرِ كَافِرٍ وَظُلْمِ ظَالِمْ؟

٧٧ أَلَيْسَ قَادِرًا بِأَنْ لَا يَخْلُقَا مِنْ هٰؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ مُطْلَقَا؟ (٢)

٧٨ أَجِبْ: بِأَنَّ سُؤْلَكَ غَرِيبُ إِذْ لَا تَلَازُمْ فِيهِ يَا مُعِيبُ (٣)

٧٩ فَخَلْقُهُ لَهُ بُرْهَانُ عَدْلِهِ حَيْثُ اسْتَحَقَّ مَا خُلِقْ لِأَجْلِهِ (٤)

٨٠ بِالْكُتْبِ وَالْآيَاتِ وَالْعُقُولِ أَقَامَ حُجَّتَهْ مَعَ الرَّسُولِ (٥)

---

(١) إن امتناع الله عن الإجابة أو تأخيره لها، كانا رحمةً لكم وبحكمة عجيبة. فكم من داع يدعو على نفسه بالشر وهو لا يشعر؟ قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾.

(٢) **ومن شبه الملاحدة** أنهم يقولون: إذا كان الله سيعلم أن فلانا من الناس سيكون كافرا ظالما ملحدا، وهو لا يرضى بالكفر والظلم والإلحاد، فلماذا خلقهم؟ ألم يكن قديرا أن لا يخلقهم مطلقا؟

(٣) **فالجواب عليها من ثلاثة أوجه:**

أولا: إن هذا التسائل غريبٌ ولا علاقة له بنفي وجود الله أصلًا. بل وجودُ الملاحدة والكفَّار والظلمة دليلٌ على وجود الله الخالق، لأنهم مخلوقون على كل حال. وأين التلازم بين علم الله بوقوع الكُفر والظُلم والإلحاد منهم وبين عدم خلقه لهم؟ فهل إذا علم اللهُ ذلك أنه يجب عليه ألا يخلقَهم ؟!؟

(٤) **وثانيا:** إن خَلْقه لهم يدل على كمال عدله وحكمته، لأن مقتضى العدل أن يعاقَب المجرمُ بعد قيامه بالإجرام، لا قبله. فالكافر مجرمٌ بكفره، فلو لم يُخلَق هذا الكافر أصلًا، فإنزال العقوبة عليه ظلمٌ. ثم إن عدم وجود الكافر مطلقًا يقتضي عدم وجود المؤمن مطلقًا، فأصبح هذا السؤال لاغيًا لا معنى له.

(٥) **وثالثًا:** لم يعاقب الله الكافر إلا بعد إقامة الحجة عليه بإنزال الكتب وإظهار الآيات -أي المعجزات- وإرسال الرسل ومنح العقل المميز بين الحق والباطل والخير والشر.

فالضمير في قوله (حجته) يرجع إلى الله.

٨١ وَقَدْ أَبَانَ كُفْرَهُ مُخْتَارَا فَالنَّارُ حَظُّهُ فَكُنْ بَصِيرَا [١]

الخاتمة

٨٢ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى إِتْمَامِي لِنَظْمِيَ الصَّغِيرِ بِانْسِجَامِ [٢]

٨٣ أَبْيَاتُهُ (فَجَا) وَكُنْ مُصَلِّيَا [٣] عَلَى النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ وَالْأَوْلِيَا

٨٤ مِنْ صَحْبِهِ الْكِرَامِ مَعْ مَنْ كَانَا لِنَظْمِنَا مُسْتَوْعِبًا مُبِينَا

تمَّت

---

(١) **ورابعًا:** إنَّ الله وإنْ علِم بكفر الكافر لكنَّه لم يُجبره على الكفر، بل خيَّره بين الإيمان والكفر مع بيانه لهم بعواقب كلٍّ منهما، فوعد من آمن بالنعيم وأوعد من كفر بالجحيم، فإذا اختار الإنسانُ بعد هذا التخيير والبيان أن يموت كافرًا ملحدًا، فقد أبان استحقاقَه للجحيم دون عذرٍ، وهذا من كمال عدله ﷻ.

وقوله (أبان) أي أظهر، والضمير المستتر فيه يرجع إلى الكافر.

(٢) قوله (بانسجام)، والانسجام المقصود هنا شامل للأفكار والتعبير، فانسجام الأفكار يعني لا تناقض بين أفكارها، وانسجام التعبير يعني وضوح ألفاظه، لا تعقيد فيه، وسهل التركيب.

(٣) قوله (فجا) الفاء والجيم والألف من الحروف الأبجدية التي يُعدُّ بها الجُمَّل. فالفاء يعني ثمانين، والجيم يعني ثلاثة والأَلِف يعني واحدًا، فالمجموع: ٨٠ +٣+١ = ٨٤.

ولمزيد البيان، انظر الجدول:

أ = ١	ب = ٢	ج = ٣	د = ٤	هـ = ٥	و = ٦	ز = ٧	ح = ٨	ط = ٩	ي = ١٠
ك= ٢٠	ل=٣٠	م=٤٠	ن=٥٠	س=٦٠	ع=٧٠	ف=٨٠	ص=٩٠	ق=١٠٠	ر=٢٠٠
ش=٣٠٠	ت=٤٠٠	ث=٥٠٠	خ=٦٠٠	ذ=٧٠٠	ض=٨٠٠	ظ=٩٠٠	غ=١٠٠٠		

تم اختصار النظم مع التصحيح والتعليق عليه في يوم الأحد الثالث من ذي الحجة عام ١٤٤٣هـ.

فهرس الموضوعات

تمهيد ١

مقدمة ٢

صحة الدين الإسلامي ٢

مقدمات عقلية لإثبات الله ٣

مشكلة الشر ٩

لا ظلم في حكم الله وقدره ١٥

الرد على نظرية التطور ١٨

الرد على نظرية الانفجار العظيم ٢٠

شبهة عدم انتصار المسلمين ٢٠

لماذا خلق الله الكافر؟ ٢٤

الخاتمة ٢٥

فهرس الموضوعات ٢٥

ملاحظات ٢٥

ملاحظات